

## الدرس الثالث عشر :

### الاستقامة

روى مسلم في صحيحه ، عن سفيان بن عبد الله الثقفي ، أنه سأل رسول الله ﷺ قال : قلت : يا رسول الله ، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك . فقال : « قل آمنت بالله ، ثم استقم »<sup>(١)</sup>.

وفي رواية للترمذي : قلت : يا رسول الله ، حدثني بأمر أعتصم به . فقال : « قل : ربي الله ، ثم استقم » . قال : فما أخوف ما تخاف عليّ؟ فأشار إلى لسانه ، وقال : « هذا »<sup>(٢)</sup>.

### وصية شاملة :

سأل هذا الصحابي رسول الله ﷺ عن أمر جامع ، أن يقول له قولاً مغنياً ، ويوصيه وصية شاملة ، يتخذها دستوراً لحياته ، ويلتزمها منهاجاً للعلاقة بينه وبين ربه ، وبينه وبين نفسه ، وبينه وبين الناس .

وكان ﷺ قد أوتي جوامع الكلم ، يجمع في الكلمة القليلة الموجزة المعاني الكثيرة الجمّة ، فقال له هذه الكلمة ، وأوصاه بهذه الوصية : « قل آمنت بالله ، ثم استقم » أو « قل ربي الله ، ثم استقم ».

### اقتباس من القرآن :

وهذا الجواب المحمّدي إنما اقتبسه من القرآن الكريم ، من قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا

(١) رواه مسلم في الإيمان (٣٨) ، وأحمد (١٥٤١٦) ، عن سفيان بن عبد الله الثقفي .  
(٢) رواه أحمد (١٥٤١٩) ، وقال مخرّجوه : صحيح ، والترمذي في الزهد (٢٤١٠) ، وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٢) ، وابن حبان في الحظر والإباحة (٥٦٩٨) ، وقال الأرنؤوط : حديث صحيح ، والطبراني في الكبير (٦٩/٧) ، والحاكم في الرقاق (٣١٣/٤) ، وصححه إسناده ، ووافقه الذهبي ، عن سفيان بن عبد الله الثقفي ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٢٠٨) .

تَخَافُوا وَلَا تَحْزُنُوا ﴿ (فصلت: ٣٠)، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأحقاف: ١٣، ١٤).

### البراءة من الأرباب الزائفة :

الأمر الأول في هذه الوصية : أن يعلن بأن ربه هو الله ... ويبرأ من كل الأرباب ، الأرباب الزائفة ، التي اصطنعها الناس في حياتهم ، صنعها الوهم والخرافة ، أو صنعها الهوى والشهوة ، أو صنعها الكذب والتضليل . . . كل الأرباب ، من البشر ، أو من الحجر ، أو من الكواكب ، أو من أي شيء في العالم العلوي أو السفلي ، على المؤمن أن يبرأ من هذه الأرباب ، ولا يتخذ غير الله رباً ، ولا يتخذ غير الله ولياً ، ﴿ قُلْ أَعْمَرَ اللَّهُ أَبْنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (الأنعام: ١٦٤).

لقد بعث رسول الله ﷺ والناس في هذه الدنيا يتخذون أرباباً كثيرة ، هذا يتخذ له رباً من الحلوى أو من العجوة ، فإذا جاع أكله ، وذاك يتخذ ربه كاهناً من الكهّان ، وآخر يتخذ ربه صنماً من الأصنام ، أو وثناً من الأوثان ، وهكذا . . . اتخذ الناس أرباباً شتى<sup>(١)</sup> . . . ولهذا كانت رسالة رسول الله ﷺ إلى الملوك والأمراء والأباطرة من الأكاسرة والقيصرية ، كان يختمها بهذه الآية : ﴿ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَرَ إِلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (آل عمران: ٦٤) . مثل أولئك الذين ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَيْبِنَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِداً لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة: ٣١).

(١) قال ابن الجوزي : كان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار ، فنظر إلى أحسنها فاتخذها ربا ، وجعله ثلاثة الأثافي لقدره ، فإذا ارتحل تركه ، فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك ، ثم روى عن أبي رجاء العطاردي قوله : كنا نعبد الحجر في الجاهلية ، فإذا وجدنا حجراً هو أحسن منه نلقيه ذلك ونأخذه ، وإذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من تراب ، ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ، ثم طفنا به . تلييس إبليس ص ٧٥ ، طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت .

## التوحيد رسالة كل الأنبياء :

ليعلن الإنسان أول ما يعلن أن الله ربه ، وأن الله معبوده ، وأن وجهته إلى الله ، وأنه لا يتخذ ولياً من دون الله .

بهذا بعث الأنبياء ، وبهذا نزلت الكتب ، وبهذا قامت السماوات والأرض ، وبهذا قامت سوق الجنة والنار . .

على هذه الحقيقة قاتل الأنبياء وأتباعهم من المؤمنين .

## موقف موسى من فرعون :

وقف موسى عليه السلام يقول لفرعون : إنك لست الرب الأعلى كما تزعم للناس ، حيث قال للناس : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ (النازعات: ٢٤) ، فقال : إن الله وحده هو ربُّ الناس ، ملك الناس ، إله الناس .

ولهذا أراد فرعون أن يقتل موسى قال : ﴿ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ (غافر: ٢٦).

و شاء الله أن يدافع عن موسى رجل مؤمن من آل فرعون يكتنم إيمانه ، يصرخ في وجوه هؤلاء : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (غافر: ٢٨).

أمن أجل هذه الكلمة ﴿ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ ، وهي الحقيقة الناصعة التي ليس هناك حقيقة أنصع ولا أثبت ولا أخلد منها؟! أمن أجل هذه الحقيقة يراد بموسى أن يقتل وتزهق روحه؟!

## موقف إبراهيم من النمرود :

ولقد أريد من أجل هذه الكلمة لسيدنا إبراهيم أن يلقي في النار ، ويحرق تحريقاً : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ (البقرة: ٢٥٨) ، أي إن

هذا (النمرود) يزعم أن في يده الأمر والنهي ، يأمر بقتل مَنْ يشاء فيميتة ، ويأمر بالعفو عَمَّنْ شاء فيحييه . . . وهناك يقول له إبراهيم : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

### موقف المشركين من محمد ﷺ وأصحابه :

ولقد أريد لمحمد ﷺ ولأصحابه أن يُقتلوا ، وأن يُعذبوا ، وأن يُنفوا ، وأن يخرجوا من ديارهم بغير حق ؛ إلا أن يقولوا ربنا الله . . .

لقد أخرجوا من ديارهم وأموالهم وأوذوا في أنفسهم وأهليهم . . . بغير ذنب جَنَوَهُ ﴿ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ (الحج: ٤٠).

لهذا كان على المسلم أن يقول : ﴿ رَبِّكَ اللَّهُ ﴾ ، مهما أُوذِيَ في نفسه ، أو أهله ، أو ماله ، أو منصبه ، أو جاهه ، أو كل أعراض الحياة ، مستمسكا بهذه العروة الوثقى لا انفصام لها .

« قل ربِّي الله ثمَّ استقم »

أي قل هنا ، اعتقده في نفسك ، وأعلنه على الناس ، ولكن لا بدَّ من الاستقامة على مقتضى هذا القول .

### ما المقصود بالاستقامة ؟

والاستقامة تعني أمرين :

**الثبات على التوحيد :**

الأمر الأول : الثبات على هذا القول ، وعلى التوحيد لله ، وعلى إخلاص القلب لله ، بحيث يسير الإنسان في هذا الطريق ، طريق التوحيد السَّوِيَّة ، لا عِوَجَ فيها ولا أَمْت ، ولا ارتداد ولا انحراف . . . ولهذا قرأ سيدنا أبو بكر : ﴿ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴾ (فصلت: ٣٠)، فقال : لم يشركوا به شيئا . . . وذلك معنى الاستقامة .

وقراها عمر على المنبر فقال : ﴿ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴾ (فصلت: ٣٠)، أي : لم يروغوا  
روغان الثعالب<sup>(١)</sup>.

استقاموا على أمر الله ، وعلى دين الله ، وعلى توحيد الله ، استقامة المؤمن  
الصريح . . . الثبات على التوحيد إلى النهاية ، إلى الموت ، ﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ  
يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ (الحجر: ٩٩).

**التزام حدود الله وتنفيذ أوامره :**

والأمر الثاني من معنى الاستقامة : أنه يلتزم حدود الله ، وينفذ أوامره ، ويقوم  
بحدوده ، وينتهي عن محارمه ، فيسلك الطريق المستقيم . . . والصراط الذي هو  
كحدِّ السيف ، لا ينحرف عنه يَمَنَةً ولا يَسْرَةً ، لا يميل مع اليمينيين ، ولا ينحرف  
مع اليساريين .

**الهداية إلى الصراط المستقيم :**

إنه الصراط المستقيم الذي ندعو الله ونسأله الهداية إليه كل يوم ما لا يقل  
عن سبع عشرة مرة ، لو اقتصر الإنسان على أداء الفرائض . . . ﴿ أَهْدِنَا  
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ  
وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ (الفاتحة: ٦، ٧) .

**سلوك الطريق المستقيم الواضح دون ميل أو انحراف عنه :**

﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . . .  
لا سبيل المنحرفين المغضوب عليهم كاليهود ، والضالين كالنصارى . فقد روى  
الترمذي ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إِنَّ الْيَهُودَ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ ، وَإِنَّ النَّصَارَى  
ضَلَالٌ »<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر : تفسير ابن كثير (١٢٥/٩) .

(٢) رواه الترمذي (٢٩٥٣) وقال : حسن غريب ، وابن حبان في التاريخ (٦٢٤٦) ، وقال الأرنؤوط :  
حديث حسن لغيره ، والطبراني في الأوسط (٣٨١٣) ، وفي الكبير (٩٨/١٧) ، عن عدي بن حاتم ،  
وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٣٥٣) .

فالطريق الذي يجب أن يسلكه الفرد المسلم ، والأسرة المسلمة ، والجماعة المسلمة ، والحكومة المسلمة ، هو : الطريق الإسلامي الواضح ، الذي لا يميل إلى هنا ، ولا إلى هناك ، ولا إلى هنالك . . .

### التحذير من التقليد الأعمى :

فقد حذّر النبي ﷺ ، هذه الأمة من أن تفقد شخصيتها ، وتفقد ذاتيتها ، وتسير وراء الآخرين مقلدة التقليد الأعمى ، قال : « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » ، جحر الضب على ما فيه من الضيق والالتواء والقذارة والتنانة وسوء الرائحة ، لو دخلوا مثل هذا الجحر ، لدخلتموه ، قالوا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى؟! قال : « فمن؟! »<sup>(١)</sup>.

هم هؤلاء المقصودون ؛ تتبعونهم وتقلدونهم وتتركون طريقكم المستقيم ، وتسيرون في طريقهم الأعوج . . . إذا أظالموا أظافركم كأظافر الكلاب والقطط أظلمت أظافركم ، إذا سارت نساؤهم عاريات أو شبه عاريات ، فعلت نساؤكم مثلهن ، إذا أكلوا الربا أكلتموه ، وإذا أباحوا الخمر أباحتوها ! إذا ارتكبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، كانت فواحشهم شيئاً جميلاً يقتدى به .

وهكذا انحرف الناس عن الطريق المستقيم ، عن الاستقامة التي أمر الله بها رسوله وأمر بها المؤمنين .

### أوامر الله لنبيه وللمؤمنين بالاستقامة :

قال الله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (هود: ١١٢) .

روى القشيري ، أن عبد الرحمن السلمي قال : سمعت أبا علي السري يقول : رأيت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله ، روي عنك أنك قلت : « شيبيني هود »<sup>(٢)</sup>.

(١) متفق عليه : رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥٦) ، ومسلم في العلم (٢٦٦٩) ، كما رواه أحمد (١١٨٩٧) ، عن أبي سعيد الخدري .

(٢) رواه الترمذي (٣٢٩٧) وقال : حديث حسن غريب ، والحاكم (٣٤٣/٢) ، وصححه على شرط البخاري ، ووافقه الذهبي ، كلاهما في التفسير ، عن ابن عباس ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٦٢٧) ، ونصه : « شيبيني هود والواقعة والمرسلات و ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ و ﴿ إِذَا أَلْسَمُ كُوزَتْ ﴾ » .

قال : « نعم » فقلت : ما الذي شريك ؟ قصص الأنبياء وهلاك الأمم ؟ قال : « لا ولكن قوله : ﴿ فَاسْتَقِيمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٣) وَلَا تَزْكُوتُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ (١) (هود: ١١٢، ١١٣) .»

وقال تعالى في سورة فصلت : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾ (فصلت: ٦)، رتب الأمر بالاستقامة على توحيد الله تعالى .

مقتضى توحيد الله والاعتراف بألوهيته ووحدانيته ، والاعتراف بربوبيته ، ﴿ الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلَقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ (طه: ٥٠)، ذلك يقتضي الاستقامة إليه ، الاستقامة على طريقه ، استقامة اللسان على الصدق ، واستقامة القلب على التوحيد ، واستقامة الجوارح على الطاعة ، واستقامة العمل على السنة ، على هدي محمد ﷺ .

#### الاستقامة الكاملة غير ممكنة :

وما أجمل هذه الكلمة : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾ ، كأنها إشارة إلى أن الإنسان لا يمكن أن يستقيم الاستقامة حق الاستقامة . . . لا بد أن يفرط في جنب الله ، وأن يبدو منه تقصير في حق الله ، فالإنسان إنسان ، مهما يحاول ومهما يجاهد . . . ولكن لم يطلب منه إلا التصميم والعزم ، وحسن الاتجاه إلى الله وإلى طريق الله .

فإذا فرط منه في الطريق شيء ، فإن الله أهل التقوى وأهل المغفرة ، قال ﷺ : « استقيموا ولن تحصوا »<sup>(٢)</sup> ، أي لن تستطيعوا أن تدققوا في كل شيء ، وتودوا كل عمل كما هو مطلوب منكم ، ف« سدّدوا وأبشروا »<sup>(٣)</sup> ، و« سدّدوا وقاربوا »<sup>(٤)</sup> .

(١) تفسير الثعالبي (٢/٢٢٠) .

(٢) رواه أحمد (٢٢٣٧٨) ، وقال مُخَرَّجُوهُ : حديث صحيح ، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الصحيح ، وابن ماجه في الطهارة وسننها (٢٧٧) ، والطيالسي (٩٩٦) ، والدارمي في الطهارة (٦٥٥) ، والطبراني في الصغير (٨) ، والكبير (١٠١/٢) ، والبيهقي في الكبرى كتاب الطهارة (٨٢/١) ، عن ثوبان ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٢٤) .

(٣) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٦٧) ، عن عائشة .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في الرقاق (٦٤٦٤) ، ومسلم في صفة القيامة (٢٨١٨) ، كما رواه أحمد (٢٤٩٤٠) ، عن عائشة .

## الفرق بين التسديد والمقاربة :

التسديد معناه : الإصابة في الأقوال والأعمال ، والمقاصد كلها . . . أن يصيب الإنسان الهدف ولا يخطئه . . .

والمقاربة : أن تبلغ قريباً من هدفك ، ومن غرضك . . .

فيقول عليه الصلاة والسلام : « سدّدوا » ، أي : حاولوا الإصابة والتسديد فيما تريدون ، و« قاربوا » إن لم تستطيعوا التسديد ، فقاربوا . . . أي : كونوا قريبين من الإصابة . . . ولكن بشرط أن تكون مُصمِّماً على بلوغه ، وأن تكون وجهتك إليه ، فلا تكون مُشرِّفاً وهدفك مُغرَّب ، بل ينبغي أن تكون سليم الاتجاه ، صحيح الوجهة أولاً . . . وإن فرطَ منك شيء من الخطأ ومن الزلل فإنَّ الله عز وجل ، يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها .

## دور اللسان في الاستقامة :

يقول ﷺ : « لا يستقيم لسان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه ، حتى يستقيم لسانه »<sup>(١)</sup> .

ذلك أن اللسان ترجمان القلب ، والمُعبر عنه ، والمرآة لما يحتويه باطن الإنسان ، ولهذا ورد أن الأعضاء إذا أصبحت قالت للسان : « اتق الله فينا ، فإذا استقامت استقمنا ، وإذا اعوججت اعوججنا »<sup>(٢)</sup> .

فإذا رأينا إنساناً مُعوجَّ اللسان ، منحرف القول ، فهذا دليل على عوج في قلبه ، وعلى انحراف في قصده .

---

(١) رواه أحمد (١٣٠٤٨) ، وقال مخرَّجوه : إسناده ضعيف ، تفرد به علي بن مسعدة ، وقال الهيثمي : رواه أحمد وفيه علي بن مسعدة وثقه يحيى بن معين وغيره وضعفه النسائي وغيره (٢٢٠/١) ، وقال الحافظ في التقریب : صدوق له أوهام انظر : المنتقى (١٧٢٦) ، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٨٤١) .

(٢) رواه أحمد (١١٩٠٨) ، وقال مخرَّجوه : إسناده حسن ، والترمذي في الزهد (٢٤٠٧) ، والطيالسي (٢٢٠٩) ، وأبو يعلى (١١٨٥) ، والبيهقي في الشعب باب حفظ اللسان (٤٩٤٥) ، عن أبي سعيد الخدري ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٧١) .

## الاستقامة في الدنيا :

إننا - والله - إذا استقمنا أفلحنا في الدنيا والآخرة .

الاستقامة هي سبيل النجاح ، وسبيل الفلاح . . . في الحياة الأولى ، وفي الحياة الباقية .

يقول الله تعالى في شأن هذه الحياة : ﴿ وَأَلُوْا اسْتَقْمُوْا عَلَى الطَّرِيْقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَّاءً غَدَقًا ﴾ (الجن: ١٦)، أي : وسعنا عليهم أرزاقهم ، وأكلوا من فوقهم ، ومن تحت أرجلهم ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢٠﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق: ٢، ٣) ، ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الأعراف: ٩٦).

الاستقامة على أمر الله وشكر نعمته سبيلٌ إلى حفظها ، وإلى الاستزادة منها ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ لِيَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (إبراهيم: ٧).

إنَّ الله حينما أهبط آدم وحواء إلى الأرض علمهما هذا المبدأ ، ووضع نصب أعينهما هذا القانون : ﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيْعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿٢٢﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيْرًا ﴿٢٣﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾

(طه: ١٢٣-١٢٦).

## الاستقامة سبيل النجاح والصلاح :

الاستقامة سبيل السعادة ، وسبيل الفلاح للفرد . . . وللأسرة . . . وللمجتمع كله . إذا قال الفرد : (ربي الله) ، ثم استقام على هذا وثبت عليه ، فهو سعيد وإن شقي الناس ، مُفلح وإن خاب الناس ، مطمئن وإن اضطرب الناس ، آمن وإن خاف الناس ، ﴿ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ خَوْفًا وَلَا رَهَقًا ﴾ (الجن: ١٣) ، ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ (طه: ١١٢) ، ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد: ٢٨).

## السعادة في الإيمان وفي الاستقامة :

لقد أغضب عمر إحدى زوجاته فقال لها مرة : لأشقيئك يا أم كلثوم . (بنت على بن أبي طالب وكانت زوجة لعمر) فقالت له : لا تستطيع يا أمير المؤمنين ، أن تشقيني ، لأن سعادتي في إيماني ، وإيماني في قلبي ، وقلبي لا سلطان لأحد عليه غير ربي .  
هذا في الدنيا . . .

## نتيجة الاستقامة في الآخرة :

وأما في الآخرة ، فجنة عرضها السماوات والأرض ، وملائكة تنزل ببشارة الله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ (فصلت: ٣٠).

الإنسان في هذه الحالة ، قادم على دار غير الدار ، وعلى حياة غير الحياة ، والغريب يستوحش ، ولكن الملائكة تؤنس وحشتهم ، فتقول لهم حين تتوفاهم طيبين : ﴿ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ (فصلت: ٣٠)، أي : لا تخافوا مما أنتم قادمون عليه ، ولا تحزنوا لما خلفتم وراءكم من مال وأهل وولد . . . فإن الله وليكم في هذا كله . . . ﴿ وَأَبشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ ﴿ حَنُّ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا - كُنَّا نَعْلَمُكُمْ ، نُؤَيِّدُكُمْ وَنُسَدِّدُكُمْ وَنُنصِرُكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمْ ، وَنَحْفَظُكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ - وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ (فصلت: ٣٠، ٣١) ، نُؤنِّسُكُمْ عِنْدَ الْوَحْشَةِ فِي الْقُبُورِ ، وَعِنْدَ النَّفْخَةِ فِي الصُّورِ ، وَعِنْدَ الْبَعْثِ وَالنَّشُورِ ، وَعِنْدَ الْمُرُورِ عَلَى الصِّرَاطِ ، وَنَهْدِيكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ ، ﴿ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (يونس: ٩)، وَنَدْخُلُ عَلَيْكُمْ مَحْيِينَ مُسَلِّمِينَ : ﴿ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (الرعد: ٢٤).

﴿ حَنُّ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۗ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴾ ﴿ نُزِّلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴾ (فصلت: ٣١، ٣٢) <sup>(١)</sup>.

\* \* \*

(١) انظر : خطب الشيخ القرضاوي خطبة بعنوان (الاستقامة وأثرها في حياة المسلم) (٦٩/٦) طبعة مكتبة وهبة ، القاهرة .